حتى وصلت ـــ بعد تجزئة النضال المصري مـــن أجل التحرر والاستقـــلال والملكية والاقطاع وفصله عن قضية فلسطين وجعلها دائما غير واردة علـــى الشاشـة الا في المناسبات(٦) ـــ وصل الى حد استغلال الحقائق التاريخية التي تتعلق بالصهيونية كنوع من الحكايات البوليسية مستغلا الاشارة الرخيصة في عملية الاغتيال ومستغلا نجاح أفلام (جيمس بوند) التي كانت تنتجها وكالة المخابرات المركزية الامريكية . بل وصل الى حد استخدام المخرج موسيقى الفيلم الاول لبطل المخابـــرات الامبريالي الذائع الصيت .

وجعل الفيلم من اللورد (موين) من حيث لا يدري بطلا وطنيا وشهيدا من شهداء النضال المصري ضد الصهيونية رغم أنه كان من الواجب ابراز الخفايا السياسية التي تربط مقتل عدو لمصر بقاتله والذي في الوقت نفسه عدو آخر لمصر ... حتى وان كان قد قال لحكومته (أنت غلطانه علشان تشجعي الصهيونية وتقفي ضد العرب) كما جاء في الفيلم . لكن الفيلم اوضح ما هو أبشع من مجرد استغلال الحادثة مـــن النـاحية البوليسية وهو أنه بعد أن آلت السينما المصرية الى الدولة في ذلك الوقت لم يتغير شيء بل زاد الامر سوءا حيث أصبحت الدولة أو الثورة في مصـــر تشارك القطاع الخاص بشكل سافر في تلك النظرة القاصرة العاجزة المقصودة او غير المقصودة التي تســيء الى القضية الفلسطينية وقضايا النضال الوطني في مصر والعالم العربي عموما .

٤ ـــ ١٩٦٧ النكسة وبدء الوعي

قد يبدو للناظر لاول وهلة بعد نكسة يونيو السوداء عام ١٩٦٧ ان الوعي بقضية فلسطين قد اتى الى السينما العربية والمصرية مـــن خلال تدرج سياسي بمعنى أن السلطة في مصر مثلا قد وعت الحقيقة فأصدرت فرمانا بالوعي السينمائي لدى بعض السينمائيين بالعلاقة الديالكتيكية التي تربط قضية فلسطين بقضيـــة النضال الوطني المصري والا لكان الجميع قد تغيروا لكن الذي حدث غير ذلك بكثير فقد كانت نكسة ١٩٦٧ في ضمير الشعب المصري وشعوب الامة العربية بمثابة خنجـــر فجر الدم في الصدور ومزق أستارا كثيفة وحجبا سوداء ووضع كل شيء في موضعه الصحيح في قلوب الشباب المصري السينمائي الذي كان قد خرج للتو مـــن المعاهد الفنية ومنها السينما التي انشأتها الدولة والذي كان يجد نفسه ضائعا بين قطاع خاص فاسد وقطاع عام دخله من هم أكثر فسادا من القطاع الخاص فخربوه وكان يحارب بين جبهتين من أجل ان يخرج الى النور ملتزما جادا . وتكشف أمام هذا الشباب الطلسم الذي ظل مختفيا تحت السطح بفعل التجار الذين استشروا في الوسط السينمائي ـــ هذا الطلسم الذي اختفى في ظل التناقضات الوطنية والذي لم يجعل للسينما المصرية طبيعة محددة تتسق مع الالتزام الوطني اذا ما جاز لنا مثل هذا القول والذي ، لو حدث ، لكنا اليوم ننقب عما كان يجري أو نقبنا منذ زمن طويل عما كان يجري في داخل فلسطين قبل ١٥ مايو ١٩٤٨ بل ولنقبت مصر نفسها عن سبب النكسة قبل حدوثها لان هزيمة الشعب المصري كانت هزيمة لتناقضاته التي عاشت داخل كيان الثورة نفسه وترعرعت بل ما كانت النكسة قد حدثت أصلا وهذا ليس بقليل على مقدرة السينما التي صنعت مثلا مستقبل الثورة الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي والتي تستعملها الولايات المتحدة اليوم كأخطر سلاح موجه لفكر الشعوب بالقاء السم في الدسم اليها وقلب نظم الحكم الوطنية فيها وتخريب العقول فيها بقوة وذكاء . لكن الاماني شيء والواقع شيء آخر .

على انه كانت أول علامات هذا الوعي هو ظهور أول تجمع سينمائي شاب مع أحزان النكسة في عام ١٩٦٨ وهو « جماعة السينما الجديدة » كذلك جمع هذا التجمع بين